هل اتفقت إيران وتركيا على مواجهة الأكراد؟

07-8-2004

وإذا كان القلق المشترك من الوضع في العراق والتغلغل الإسرائيلي في أراضيه، والمخاوف من إقامة دولة كردية مستقلة، يمكن أن يشكل أرضية للتقارب الإيراني التركي، فإن استمرار هذا التقارب، بل وتعميقه ليس أمرا سهلا، بالنظر إلي الخلافات العديدة بين البلدين حول العديد من القضايا، والتنافس

بقلم عبدالله صالح

جاءت زيارة رئيس الوزراء التركي طيب رجب أردوجان الأخيرة لطهران في إطار التحرك الذي تقوده حكومة حزب العدالة والتنمية منذ وصولها إلى سدة الحكم في تركيا العام الماضي، والذي يستهدف إقامة ترتيبات إقليمية لحماية مصالحها في المنطقة في مواجهة التهديدات الأمنية التي تتعرض لها، وفي مقدمتها الوضع في العراق وتغلغل إسرائيل في أراضيه، واحتمالات قيام "كيان" كردي مستقل عن العراق، يؤدي إلى تعزيز الحركة الانفصالية للأكراد، وتشكيل دولة كردية، تبدل خريطة المنطقة.

وقد انتهت زيارة أردوجان بتوقيع البلدين لاتفاق بخصوص التعاون ضد المقاتلين الأكراد. وكان أردوجان قد صرح قبل مغادرته أنقرة، بأنه سيسعى إلى إقناع إيران بوضع حزب العمال الكردستاني السابق، الذي خاض مواجهة مسلحة ضد الحكومة التركية على مدى خمسة عشر عاما، على قائمة المنظمات "الإرهابية". وفي أعقاب اعتقال ومحاكمة زعيم الحزب عبد الله أوجلان في أواخر التسعينيات, ألقى أنصاره السلاح وبحثوا عن ملجأ لهم في كل من إيران والعراق. وبعد أن غيّروا اسم الحزب في يونيو الماضي، ليتحول إلى منظمة تحمل اسم "كونجرا-جل", قرروا التراجع عن وقف إطلاق النار ضد تركيا، والذي سبق أن أعلنوه في عام 1999, متهمين تركيا بعدم احترام الهدنة الموقعة بين الجانبين.

المواجهات في الأقاليم الكردية المجاورة لتركيا أصبحت شبه يومية، وآخر الحوادث اندلعت عندما بدأ المقاتلون هجومًا في منطقة "ديار بكير"، أسفر عن مقتل عدد من الجنود وضباط البوليس وإصابة محافظ الإقليم بإصابات بالغة.وقبلها بساعات كان أردوجان قد أعلن في طهران أن تركيا وإيران على وشك التوقيع علي اتفاق للتعاون في مواجهة المقاتلين الأكراد. وعقب المباحثات مع "محمد رضا عارف" النائب الأول للرئيس الإيراني، ألمح رئيس الوزراء التركي إلي أنه حصل علي وعد من طهران بعدم إضفاء الشرعية علي حزب العمال وورثه.

وسئل أردوجان من قبل مراسل تركي عما إذا كانت إيران قد وافقت رسمياً علي اعتبار جماعة "كونجرا-جل" منظمة "إرهابية"، فأجاب بأنه "فيما يتعلق بقضية "الإرهاب"، فقد اتفقت تركيا وإيران على تبنى موقف مشترك، وسيتم توقيع مذكرة تفاهم بهذا الشأن، وبطبيعة الحال، فإن منظمة "كونجرا-جل" ستدرج ضمن منظمات "إرهابية" أخرى، في إطار مذكرة التفاهم". ولكن المسئولين الإيرانيين لم يعلقوا علي هذا الأمر، في حين اكتفت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية "ايرنا" بنقل تصريح مقتضب لنائب الرئيس الإيراني رضا عارف، أشار فيه إلى أن مباحثات الجانبين التركي والإيراني توصلت إلى الاتفاق على التعاون في عدد من القضايا الأمنية ذات الاهتمام المشترك..

ويعتقد المعلقون الأتراك أن توقيع اتفاق تركي إيراني يتضمن تشكيل قوات مشتركة لمواجهة المقاتلين الأكراد سيمثل، ولو نظريا، نقطة تحول هامة في علاقات البلدين. ففيما مضى كانت كل من تركيا وإيران تلقي باللوم على الأخرى، وتتهمها بدعم وحماية المقاتلين الأكراد، ولكن البلدين قد اتخذا مؤخرا خطوات ملموسة من أجل تحسين العلاقات المضطربة فيما بينهما، حيث كان لدى تركيا شكوك قوية في قيام طهران بمساندة حزب العمال الكردستاني سراً، وفي المقابل، فإن إيران تلوم تركيا على قيامها بتوفير الملاذ الآمن للجناح اليساري للحزب الديموقراطي الكردستاني الإيراني، وبعض الجماعات الإيرانية المناوئة للحكومة.

ولكن كلتا العاصمتين قد بدأتا بالفعل في التعاون المشترك في القضايا الأمنيّة، حيث قامت إيران في وقت سابق من يوليو الماضي بعدة حملات لفرض النظام وملاحقة مقاتلي حزب العمال الكردستاني المختبئين على طول حدودها مع تركيا .وقد أعلنت محطّة تليفزيون "إن تي في" التركية في ذاك الوقت أن 6 مقاتلين أكراد و 10 ضباط من القوّات إيرانيّة قُتِلُوا في هذه العمليّة. ومن جانبها، اعترفت طهران رسمياً بمقتل 10 مقاتلين أكراد واثنان فقط من جنودها، وهو ما جعل البعض يتساءل عن الدافع وراء التحرك من جانب إيران، التي تواجه اتّهامات أمريكيّة برعاية "الإرهاب"، لملاحقة المقاتلين الأكراد.

وقد امتدح رئيس الوزراء التركي موقف طهران الجديد من الأكراد، مشيراً إلي أن إيران "بدأت في تنفيذ الاتفاق المشترك لمكافحة الإرهاب، الذي دفعنا ثمناً باهظاً لمواجهته، وآن الأوان أن نقضي عليه".ولكن صحيفة "ديلي نيوز" التركية أعربت عن تشككها في إمكانية تحقق التعاون العسكري التركي الإيراني في مواجهة المقاتلين الأكراد، مستشهدة بحديث لسفيرة إيران لدى أنقرة "فيروز دولت بادي" أكدت خلاله أن العمليات العسكرية المشتركة تحتاج إلي ترتيبات أمنية وإجراءات معقدة للتنسيق بين القوات ، ليتم وضعها موضع التنفيذ في القريب العاجل.

ويتشكك الكثيرون في أنقرة وطهران في إمكانية التزام إيران بمواجهة حزب العمال الكردستاني ، ومنهم "باهرام ولديبجي" مدير المركز الثقافي الكردي في طهران، الذي أعرب عن اعتقاده بأن جدول أعمال إيران لا يتطابق بالضّرورة مع تركيا ، مشيراً إلى أن جمهوريّة إيران الإسلاميّة ليست تمامًا ضدّ حزب العمال الكردستاني، فقد كان لطهران دائما بعض العلاقات الغامضة والمحدودة به دائمًا، وهو ما يثير الشكوك حول جدية مشاركة إيران بدور فاعل في الخطط التركية لمواجهة الأكراد .

وفي تعليق ساخر علي محادثات رئيس الوزراء التركي "أردوجان" مع النائب الأول للرئيس الايراني "رضا عارف" قالت صحيفة "الصباح" التركية، أن تصريحات أردوجان خلال زيارته الأخيرة لطهران، سواء كانت تتعلق بحزب العمال الكردستاني, أو

بقبرص، أو حتى بفلسطين. كان يرد عليها "عارف" بقوله: "نحن متفقين على ذلك".
وإذا كان القلق المشترك من الوضع في العراق والتغلغل الإسرائيلي في أراضيه، والمخاوف من إقامة دولة كردية مستقلة، يمكن أن يشكل أرضية للتقارب الإيراني التركي، فإن استمرار هذا التقارب، بل وتعميقه ليس أمرا سهلا، بالنظر إلي الخلافات العديدة بين البلدين حول العديد من القضايا، والتنافس الإقليمي الواضح بين أنقرة وطهران، فضلاً عن التقارب التركي الإيراني لا يرتبط فقط بالإرادة السياسية لطرفيه فقط، بل أيضا بطبيعة القوى الإقليمية والدولية التي ترى في هذا التقارب تهديداً لمصالحها.